المشاريع الاستعمارية

حظوظ استمراريتها ومؤشرات انكسارها

أحمد هلال

مقدمة

ليس الغرض من تقديم تلك الدراسة إستدعاء حرب طائفية على أساس مذهبي او طائفي خصوصا عندما تكون طرفي الحرب من أيدلوجية واحدة منبعها الدين الإسلامي ومنهجه، حيث أن الدين الإسلامي دين جامع يستوعب الإختلافات المذهبية والفقهية، بل ويتعايش في ظلال هذا الدين كل الإنسانية علي إختلاف مشاربها وإعتقادها،ولن تستفيد الشعوب العربية والإسلامية من إشعال تلك الحرب في ظل حرب تتزعمها أمريكا وأوروبا وإسرائيل ضد شعوب أمتنا العربية والإسلامية وخصوصا في منطقة ما يسمى الشرق الأوسط.

لقد حاول العلماء الثقات من المذهبين السني والشيعي في التقارب وحسم المسائل الخلافية المذهبية وكادت تلك الجهود أن تتكلل بالنجاح قديما وحديثا، غير أن ذلك التقارب أزعج الإستعماري البغيض وتحول النظام الإيراني الإستبداي إلى نظام إستعماري في ظل غياب النظرة التنموية التي يمكن أن يستفيد منها الشعب الإيراني في الداخل والشعوب العربية والإسلامية.

الخاسر في ذلك التشظي وإستغلال الخلافات والإنشقاقات هي الشعوب المضطهدة المستعمرة والمفقرة والتي لم تستفيد من طغيان المشاريع الإستعمارية الغربية الإمبريالية الصهيونية التآمرية والإيرانية بقدر ما أفقرت شعوب أمتنا قاطبة.

لم اتناول البعد التاريخي لتلك المشاريع، حيث يمكن الرجوع اليها من مصادرها، بقدر إهتمامي،تسليط الأضواء على ما يربط تلك المشاريع من مصالح مشتركة مبنية تاريخيا أو تشابك فرضته الضرورة أو مطامع مخطط لها في العمق التاريخي،والبعد الديني الذي تحظى به تلك المنطقة.

فك الإرتباط ومعرفة عمق الترابط يجعل القاريء للمشهد السياسي في غزة قادرا على تحديد نقطة الإرتكاز في معرفة أهمية وضرورة أن تدعم تلك المشاريع بعضها البعض الآخر دون التمسح بالقضية الفلسطينية أو محاولة تصدير مشهد ملتبس ومرتبك للأسباب الكامنة وراء دعم إيران للمقاومة الفلسطينية رغم تناقض الواقع والمنطلق والأهداف.

نحن في انتظار تحرير كامل للشعوب إبتداءا من الشعب الإيراني وإنتهاء بالشعوب العربية المدمرة.

__أحمد هلال : حقوقي وكاتب مصري

﴿ إستحواذ وإستعمار ﴾

يسعى مخطط الإستكبار الإستراتيجي العالمي مستعينا بأدواته في المنطقة وفي مقدمتها المشروع الصهيوني وصنوه المشروع الصفوي ومشتقاته إلى إحكام السيطرة على المنطقة من خلال حكومات أقلوية تتبادل المنافع مع قوى الإستكبار العالمي على حساب المصالح العليا لشعوب المنطقة .

وستكون الميليشيات متمثلة في نماذج (حزب الله) و (الحوثي) و(الحشد الشعبي) و (الحرس الثوري) . هي الأدوات العملية لبسط هذه السيطرة ، بغض النظر عن العناوين التي تعمل هذه الميليشيات تحتها .

ستقطع قوى الاستكبار العالمي الطريق على أي مشروع عربي للنهوض والتحرر بنماذج من قوى التطرف أمثال داعش . التي ستكون جاهزة دائما لتقديم الذرائع لقطع الطريق على تحرر هذه الشعوب . كما ستعمل قوى الاستكبار على تعميق الهوة أكثر بين تيارات هذه الأمة الكبرى ، وبين الشعوب والحكام الذين فيهم بقية .

الشرق الأوسط، الذي لا يحبذ البعض تسميته التي تعود للإحتلال البريطاني، يقع في قلب العالم، ويحظى بموقع إستراتيجي بالغ الأهمية،

يصل بين قارات ثلاث، ويمتد من البحر المتوسط غربًا إلى الخليج العربي شرقًا، ومن البحرين الأسود وقزوين شمالاً، إلى الصحراء الكبرى والمحيط الهندي جنوباً، ويشرف على أكبر المحيطات والأبحر والممرات المائية التي تتحكم بسلاسل التوريد العالمية، من باب المندب ومضيق هرمز والبوسفور إلى الدردنيل، ويقبع على أضخم مخزون إحتياطي من النفط العالمي، إضافة إلى أنه مهد الحضارات القديمة، والرسالات السماوية.

ولجملة الأسباب هذه بالغة الأهمية والخطورة، ربما جعلت منه لعنة الجغرافيا، وسوء إدارته، نهبًا لكل غاز وطامع، وفتحت شهية الدول العظمى للسيطرة عليه، خاصة وأن دول المنطقة عاشت في أتون صراعات وحروب بينية، وخلافات سياسية وعصبية ومذهبية، حوّلتها إلى قبائل متناحرة، متشظية، وأتاحت للقوى الطامعة فيها إستباحتها كيفما شاءت.

المشاريع الكونية تزدحم بالمنطقة، والعالم العربي، الذي فقد جميع مقومات قوته، وحيلته، ومنعته، وسلّم ذقنه صاغرًا لمن هبّ ودبّ طامعًا وطامحًا بالسيطرة عليه، بدءًا من المشروع الصهيوني المزروع في قلبه، الهادف للهيمنة والسيطرة عليه، وإقامة دولته التلمودية الكبرى

ما بين نيله وفراته، إلى المشروع الأمريكي القائم على بسط نفوذه، والسيطرة على ثرواته ومواقعه الإستراتيجية، وحماية الكيان الإسرائيلي، للمشروع الإيراني الطامح بإعادة إحياء الإمبراطورية الفارسية، والسيطرة على البلاد العربية الذي إعترفت به مرجعيات شيعية علانية، بأنها سيطرت على "أربع عواصم عربية" وأصبحت خاضعة تحت مظلتها!

المشروعات الاستيطانية معايير خطرها، وتفنيد حقيقتها.

* العناوين الرئيسة:

أولاً: معايير خطر المشروع الصفويّ الفارسيّ.

ثانياً: التحالف الإستراتيجيّ بين عناصر المشروع الصفويّ الفارسيّ:

من أهم مظاهر التحالف الشعوبيّ الصفويّ الفارسيّ:

1- حملات التطهير العرقي والمذهبي ضد أهل السنة في العراق.

2- التغلغل الفارسي الصفوي في العراق، بتعاونٍ كاملٍ مع المرجعيات الشيعية العراقية، لاسيما ذات الأصل الفارسي منها.

3- التغلغل الشيعي الفارسي في سورية، واشتداد حملات التشييع في صفوف الشعب السوري المسلم السني، وتجنيس الفرس والعراقيين الشيعة.

4- بروز عمليات التزوير الفاضحة، للتركيبة الديموغرافية للشعب السوري.

5- التواطؤ الكامل والتآمر مع القوات الأميركية المحتلة في العراق.

6- اشتداد حملات الاعتقال التي ينفّذها النظام السوري الأسدي، ضد السوريين المتذمِّرين من التغلغل الصفوي الفارسي في بلدهم، وضد عرب (الأحواز) المحتلّة إيرانياً، من اللاجئين إلى سورية.

ثالثاً : الأركان الخمسة للمشروع الصفويّ الفارسيّ:

1- التواطؤ والتآمر مع القوى الغربية بزعامة أميركا إلى

أبعد مدىً ممكن، لاجتياح بلادنا واحتلالها، وفسح المجال لها ومساعدتها في السيطرة على أوطان المسلمين.

2- اللعب بالورقة الدينية الشيعية، وإشعال فتيل الحرب الطائفية.

3- اغتيال الكفاءات السنيّة العلمية والعسكرية والدينية، لترويعهم وتهجيرهم والتشفي منهم!.

4- الإجتياح الديموغرافي الشيعي الصفوي.

5- إفتعال الصدامات الكاذبة مع العدو الصهيوني، وإستفزازه ليقوم بتدمير بلادنا.

الساحات الأربع التي اختارها الطائفيون الصفويون بدايةً لتحقيق أهدافهم:

1- الساحة الإيرانية. 2- الساحة العراقية. 3- الساحة السورية. 4- الساحة اللبنانية.

رابعاً: أساليب تحرّك المشروع الصفويّ الفارسيّ في

العالم الإسلاميّ:

1- سياسياً.

2- أسلوب التقية.

3- عاطفياً.

خامساً: وسائل المشروع الصفويّ الفارسيّ.

سادساً: بعض آثار تمدّد المشروع الصفويّ الفارسيّ.

سابعاً: إنذارات الخطر التي يمثّلها المشروع الصفويّ الفارسيّ.

أولاً: معايير الخطر الذي يمثّله المشروع الصفويّ الفارسيّ

خططهم التفتيتية قيد التنفيذ:

ولعلّ ما أشار إليه الملك الأردنيّ عبد الله الثاني منذ سنوات، عن (الهلال الشيعي) الممتدّ من إيران إلى لبنان، يؤكّد على خروج الخطر الإيرانيّ من قمقمه بعد انهيار

العراق واحتلاله وسيطرة عملاء إيران عليه، ليمتدّ هذا الخطر إلى دول الخليج العربيّ وبلاد الشام واليمن ودول شماليّ إفريقية، محمّلاً بنزعةٍ دينيةٍ وقوميةٍ معادية.. وغني عن الذكر أنّ امتداد الخطر الإيراني إلى هذه البلدان، يتطلّب شعوراً موحّداً بالخطر، وخطةً مركزيةً لمواجهته، تُديرها جهة مركزية، وتتولاّها بمختلف أشكال الدعم السياسي والإعلامي والاجتماعي والمالي والاقتصادي والشرعي والدعوي والثقافي والأمني .

عندما بدأت السياسة الإيرانية بالتحرّر من عقالها بعد احتلال العراق، وانطلقت في الفضاء الواسع لمنطقتنا العربية والإسلامية.. ارتكزت إلى ركيزتَيْن أساسيَّتَيْن:

أ- غَرْس بذور الفتنة الداخلية داخل مجتمعاتنا..

ب- والدفع باتجاه تفتيت الكيانات السياسية العربية والإسلامية القائمة أو إضعافها.

والهدف من كل ذلك هو: الهيمنة الإيرانية على المنطقة، وكسب أكبر كَمٍّ ممكنٍ من أوراق النفوذ، إلى درجةٍ يشعر فيها أصحاب المشروع (الأميركي-الصهيوني)، أنّ إيران هي الدولة الوحيدة التي يمكنها منافستهم، ما يدفع بالتالي، إلى فتح الطريق أمام انتزاع اعترافٍ إقليميٍ ودوليٍ باللاعب الإيرانيّ الجديد، الذي سيتوجَّب إشراكه في تحديد معالم المنطقة، وصياغة مستقبلها القريب والبعيد، بعيداً عن مصالح أهلها وشعوبها.

على هذا الأساس، يتغلغل الإيرانيون الشعوبيون في مفاصل بلداننا، اقتصادياً واجتماعياً وديموغرافياً وأمنياً وسياسياً وعسكرياً وثقافياً.. ودينياً (الدين الصفوي الشيعي)، ويقومون ببناءٍ نشطٍ لتجمّعات الإرتكاز، التي تكمن بإنتظار الفرص السانحة لتفجير مجتمعاتنا من

داخلها، بعد توفير كل عوامل التناقضات فيها، ومن ثم الإنقضاض عليها لجني المكاسب، والتقدّم بإتجاه تحقيق الهدف القوميّ الإيرانيّ الشعوبيّ، المحكوم بأحلام إعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية..

ولعلّ أوضح ما يدلّ على ذلك: أحداث البقيع (منذ سنوات)، وانكشاف الإختراق الإيراني للمغرب ومصر والجزائر، والإضطرابات والعدوانات التي تقترفها حركة الحوثي في اليمن، وكل ما يجري في العراق المحتل من عمليات تغلغلٍ ونفوذٍ وسيطرةٍ وتطهيرٍ دينيّ وتفتيتٍ وقضمٍ للأرض ونهبٍ للنفط والثروة، وذلك من قِبَل إيران التي تستغلّ جيداً وجودَ القوّة الأميركية المحتلة

للبلاد.. وكل ما يلعبه حزب الله اللبنانيّ في لبنان، وإنكشاف بعض عمليات الإختراق في الأردن وفلسطين ودول الخليج العربيّ، والإختراق الواسع للمجتمع السوريّ، وهو إختراق يحميه النظام الحاكم (عصابة بشار) ويدعمه بقوّة.. فضلاً عن التهديدات الإيرانية لدولة البحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة، والتمسّك بإحتلال عربستان والجزر الإماراتية الثلاث، وما تناقلته الأخبار الموثّقة، عن السيطرة الإيرانية على الأراضي العراقية الحدودية بعمق 5-10 كيلو متر، فضلاً عن

إحتلال جزيرة (أم الرصاص) العراقية، وذلك تحت سمع الجيش الأميركي المحتلّ للعراق وبصره!..

أين تتجلّى خطورة المشروع الإيرانيّ الشعوبيّ الصفويّ الفارسيّ؟!..

لعل القدرة على إختراق مجتمعاتنا تحت ستار المذهب والدين ومزاعم المقاومة والدعوة الإسلامية، وإستخدام قناع الإسلام والدين وأكاذيب حُبّ آل البيت، ثم بناء المرتكزات الموالية (للوليّ الفقيه) القابع في قُمّ وطهران، وتحويل كل ذلك إلى أدواتٍ فعّالةٍ تأتمر بأمره،

وتنفِّذ سياساته، وتتحرك ضد مصلحة الوطن الأصليّ.. لعل ذلك، هو أشد معالم الخطر الذي يتهدّدنا!..

المشروع (الصهيو أميركي) معروف واضح لكل الشعوب العربية والإسلامية وأبنائها، حتى للبسطاء منهم، ومن السهل حشد الطاقات لمقاومة هذا المشروع الإستعماريّ الخبيث.. وأصحاب هذا المشروع لا يستطيعون إختراق مجتمعاتنا بالشدة التي يستطيعها الإيرانيون

الشعوبيون، وبخاصةٍ عندما يوفِّر لهم نظام فاسد كعصابة بشار.. كلَّ عوامل التغطية والنجاح والتواطؤ!..

المشروع الإيرانيّ الشعوبيّ يجتاحنا من داخلنا، ويقوّض بنيتنا الإجتماعية والثقافية والعقدية والتربوية والإسلامية والأخلاقية، ويهدّد إستقرارنا الداخليّ والأمنيّ.. ويستخدم أدواته المتعدّدة الأشكال، فهو عنيف قاتل مجرم سفّاح في العراق وسورية.. وكريم سَخِيٌّ دبلوماسي مُفسِد خبيث، يتحرّك تحت عمامةٍ مزيَّفةٍ ينسبها لآل البيت في اليمن.. ومتآمر مخرِّب خادع يفتعل الضجيج ويرفع الشعارات البرّاقة المزيّفة في لبنان.. ووقح متحفِّز في دول شماليّ إفريقية والخليج العربيّ!..

ثانياً: التحالف الإستراتيجيّ بين أطراف المشروع الصفويّ الفارسيّ

في عام 2007م، أُعلِنَ في دمشق عن إنطلاق تحالفٍ إستراتيجيٍ إيرانيٍ-سوري، ضمّ إليه حزب الله وبعض الفصائل الفلسطينية.. ثم تحوّل هذا التحالف المشبوه الجديد إلى مشروعٍ سرطانيٍ شديد الخبث، يفوق خطرُهُ على أمتنا العربية والإسلامية خطرَ الكيان الصهيونيّ نفسه.. وكان من أهم مظاهر هذا المشروع الشعوبيّ الصفويّ:

1- حملات التطهير العرقي والديني ضد أهل السنة في العراق، مترافقةً مع حملات التهجير الواسعة لهم من مناطق جنوبيّ العراق، وإطلاق الدعوات لتقسيم العراق على أساسٍ طائفيّ، مع إستمرار تحريض المحتل الأميركي على شن حملات الإعتقال والأسْر والقتل والتدمير والمداهمات والتنكيل والتصفية، ضد أهل السنة العراقيين، وضد مساجدهم ومؤسّساتهم وأحزابهم وحركاتهم!..

2- التغلغل الفارسي الصفوي في العراق، بتعاونٍ كاملٍ

مع المرجعيات الشيعية العراقية، بخاصةٍ ذات الأصل الفارسي منها.. وذلك إستخباراتياً وعسكرياً وإقتصادياً وسياسياً ودينياً، بمباركةٍ أمريكية ٍودعمٍ عسكريٍ ولوجستيٍ مهمٍ من قِبَل القوات المحتلة الأميركية، إلى درجةٍ بدا معها العراق خاضعاً لإحتلالٍ فارسيٍ صفويٍ بالدبابة الأمريكية!..

3- التغلغل الشيعي الفارسي في سورية، وإشتداد حملات التشييع في صفوف الشعب السوري المسلم السني، (هذا كله بدأ قبل إندلاع الثورة السورية)، وانطلقت واقعات تجنيس الفرس والعراقيين

الشيعة، بمنحهم الجنسية السورية من قِبَل العصابة الحاكمة لبشار.. وقد تجاوزت أعدادُهُم المليونَ قبل الثورة، ويقيم معظمهم في منطقة (السيدة زينب) وما حولها في دمشق!..

4- بروز عمليات التزوير الفاضحة، للتركيبة الديموغرافية للشعب السوري، ولعل أشدها وضوحاً، تلك الدراسات الوهمية التي نشرتها المخابرات الطائفية السورية، عن أنّ المجتمع السوري هو مجتمع أقليات، وأنّ أهل السنة لا تتجاوز نسبتهم 45% من مجموع

الشعب السوري، وأنّ هؤلاء منقسمون على أنفسهم!.. في محاولاتٍ وقحةٍ لتزوير التاريخ والجغرافية والديموغرافية السورية، مع أنّ الشعب السوري يتكوّن بغالبيته الساحقة من أهل السنة (82%)، بينما (18% من النصيريين والدروز والإسماعيليين والمسيحيين وآخرين)، وهذه إحدى الحقائق البدهية في سورية!..

5- التواطؤ الكامل مع القوات الأميركية المحتلة، ولعل أبرز ذلك، ما أصدرته المرجعيات الدينية الفارسية العراقية من فتاوى، تُحَرِّم

مقاومة المحتل الأميركي، وتُطلق الأبواب مُشرعةً لذبح أهل السنة في العراق، ووصفهم بالإرهابيين!..

6- اشتداد حملات الإعتقال التي تنفّذها عصابات بشار، ضد السوريين المتذمِّرين من التغلغل الصفوي الفارسي في بلدهم، وضد عرب (الأحواز) المحتلَّة إيرانياً، الذين لجؤوا إلى سورية منذ عشرات السنين تحت شعارات القومية العربية التي يتدثّر بها حكام سورية، وتسليم بعض الشخصيات القيادية الأحوازية المعارِضة إلى مخابرات النظام الإيراني (خليل عبد الرحمن التميمي، وسعيد عودة الساكي، وغيرهما العديد من القيادات

الأحوازية العربية)!..

ثالثاً: الأركان الخمسة للمشروع الصفويّ الفارسيّ

إنّ هدف المشروع الصفوي الفارسي الشعوبي، هو السيطرة على العالَمَيْن العربي والإسلامي بَدءاً من إخضاع منطقة الهلال الخصيب (بلاد الشام والعراق)، وذلك باجتياحها ديموغرافياً ومذهبياً وتبشيرياً

صفوياً وسياسياً وأمنياً وثقافياً واستيطانياً.. ويقوم هذا المشروع المشبوه على أركانٍ خمسة، هي:

1- التواطؤ والتآمر مع القوى الغربية بزعامة أمريكا إلى أبعد مدىً ممكن، لإجتياح بلادنا واحتلالها، وفسح المجال لها ومساعدتها في السيطرة على أوطان المسلمين، والقيام بدورٍ خبيثٍ لا يقل خطورةً عن دور (ابن العلقمي) حين تواطأ مع هولاكو لإجتياح بلاد المسلمين.. وكل العالَم يعرف أنّ إيران كان لها الدور الأعظم في التواطؤ مع أمريكا لإحتلال أفغانستان.. ثم العراق، والمسؤولون الإيرانيون صرّحوا بذلك بوضوح، بل افتخروا بذلك: (تصريح إيراني رسمي: لولا إيران لما

إحتلت أميركا العراق.. ولولا إيران لما احتلت أميركا أفغانستان).. وذلك لإضعاف أهل السنّة، ثم الإنقضاض عليهم تحت مظلة المحتل الأميركي!..

2- اللعب بالورقة الدينية الشيعية، وإشعال فتيل الحرب الطائفية، والقيام بعمليات التطهير العرقي والطائفي والديني، والعمل على تجزئة بلادنا، وتهجير أهل السنّة العراقيين من المحافظات التي يتداخلون

فيها مع أبناء الشيعة، مع قيام المرجعيات الشيعية بدورٍ مُفسِد، بالتحريض على أهل السنّة وعلى مؤسساتهم التعليمية والدينية (الشيرازي يدعو خلال خطبةٍ مفتوحةٍ إلى تدمير مساجد أهل السنة، وقد قاموا فعلاً بتدمير مئات المساجد أو احتلالها وتحويلها إلى حسينياتٍ ومراكز شيعيةٍ صفوية)!..

3- إغتيال الكفاءات السنيّة العلمية والعسكرية والدينية، وممارسة مختلف الجرائم بحقهم، لترويعهم وتهجيرهم والتشفي منهم!..

4- الإجتياح الديموغرافي الشيعي الصفوي، كما يحصل في سورية بشكلٍ خاص، تحت تغطيةٍ كاملةٍ تقدّمها

عصابة بشار الحاكمة، وكما يحصل بشكلٍ أو بآخر في لبنان، فضلاً عن العراق.. إضافةً إلى حملات التبشير الشيعي في صفوف أهل السنة!..

5- إفتعال الصدامات الكاذبة مع العدو الصهيوني والأميركي الصليبي الغربي، وإستفزازهم ليقوموا بتدمير بلادنا، ثم لتخلو لهم الأجواء (أي للصفويين الفُرس) للّعب بأوراقهم الصفوية، وتسهيل تحقيق أهدافهم الشرّيرة، تماماً كما فعلوا ويفعلون في أفغانستان والعراق ولبنان!..

إنّ الساحات الأربع التي إختارها الطائفيون الصفويون بدايةً لتحقيق أهدافهم، يسير فيها مخطَّطهم حالياً بالشكل التالي:

1- في الساحة الإيرانية: عمليات تطهيرٍ واسعةٍ لأهل السنة في إيران، مع قَمعهم والتنكيل بهم، وإستباحتهم مع أموالهم وأعراضهم ومساجدهم (طهران كلها ليس فيها مسجد لأهل السنة)!..

2- في الساحة العراقية: تكامل بالأدوار مع المحتل الأميركي، وتدمير العراق ومحاولات تجزئته، وتسليط سَفَلَة الميليشيات الشيعية على

أهل السنة، والقيام بأضخم عملية تطهيرٍ وتهجيرٍ ضد أهل السنة، مع إتباع عمليات إبادةٍ منظَّمةٍ ضدهم، وتزوير النسب المئوية لسكان العراق، بنشر الأكاذيب والدراسات المزيّفة التي تزعم أن الشيعة هم الأغلبية، مع اجتياحٍ فارسيٍ صفويٍ شيعيٍ إستيطانيٍ للعراق، لقلب نسبة الأغلبية السنية (52%) لمصلحة الأقلية الشيعية!..

3- في الساحة السورية: قبل الثورة، قامت عصابة بشار، وما تزال تقوم بعد اندلاع الثورة، بإعتبارها الحليف الإستراتيجي لإيران، بحملات إعتقالٍ وتصفيةٍ واسعة النطاق ضد الشعب السوري، وبمحاصرة المؤسسات التعليمية الإسلامية، مع فسح المجال لمؤسّساتٍ شيعيةٍ وليدةٍ مشبوهة.. مع أنّ الشيعة في سورية لا وجود لهم.. كما تقوم العصابة بتغطية أعمال التبشير الشيعي في صفوف المسلمين السوريين، وبتجنيس الوافدين الشيعة من إيران والعراق وأفغانستان وباكستان، وتوطينهم في سورية، والتضييق على عرب (الأحواز) اللاجئين إلى دمشق..

كما تقوم هذه العصابة الخائنة المجرمة، بمدّ اليد للصهاينة والأميركيين، وبحملات القمع والبطش بحق أبناء الشعب السوري،

وبجعل سورية قاعدةً للتآمر على لبنان والأردن ودول الخليج العربيّ، وباستخدام الورقة الفلسطينية لمصلحة الحلف الشعوبيّ الشرّير!..

4- في الساحة اللبنانية: لَعِبُ حزب الله وحركة أمل الشيعية بورقة المقاومة، المزيَّفة، للمحافظة على السلاح في أيديهما، ولخلط الأوراق السياسية في لبنان لمصلحة أركان الحلف الصفوي الفارسي.. وقيامهما بالتبشير الشيعي، واستفزاز إسرائيل لضرب لبنان كلما دعت حاجة أطراف المشروع الصفوي، مع محاولاتٍ مستمرةٍ لضرب وحدة لبنان، وتشكيل دولةٍ شيعيةٍ داخل الدولة اللبنانية!.

الأبعاد السياسية والإستراتيجية:

لا ينفك المشروع الإيراني في أبعاده السياسية والإستراتيجية عن الأبعاد الإعتقادية والعنصرية السابق ذكرها، فإذا كانت بلدان العرب المجاورة هي مطمع الفرس طوال تاريخهم بإعتبارها عمقًا إستراتيجيًّا لهم؛

فإن الفتح العربي لبلاد فارس بعد الإسلام هو الذي أطاح بأكبر كيان سياسي للفرس، وذهب بالعمق الإستراتيجي لذلك الكيان ممثلًا في مناطق العراق والجزيرة العربية وبلاد الشام وخراسان (أفغانستان اليوم).

وكلما أعاد الفرس النظر في فرص العودة لإيجاد كيان سياسي جديد، تطلعت أنظارهم لذلك العمق الإستراتيجي الذي تمثله البلاد العربية السنية المجاورة، خاصة من الناحية الجغرافية التي لها علاقة بطبيعة أي مشروع سياسي له تطلعات إستراتيجية.

وإيران تحتل منطقة جغرافية متكاملة مطلة على منفذين بحريين دوليين، هما: «الخليج العربي» في جنوبها الغربي، و«بحر قزوين» في شمالها الشرقي، ومن خلال إطلالها على هذين المنفذين البحريين، تتطلع إلى التوسع غربًا وشرقًا، لذلك تعد منطقة الخليج على إمتداد سواحله حتى بحر العرب جنوبًا والمنطقة المحيطة ببحر قزوين في آسيا الوسطى مجالين رئيسين للنفوذ والتمدد في المشروع الشيعي الإيراني.

وهاتان المنطقتان كانتا تاريخيًّا مجالًا لتمدد الفرس، فقبل الإسلام بألف ومئتي عام كان للفرس دولة امتد نفوذها شرقًا وغربًا حول هذين الساحلين، وخاصة في مناطق الوجود العربي الذي توسعت فيه إمبراطورية فارس كثيرًا على حساب العرب.

المشروع الشيعي المعاصر يحاول إعادة التاريخ، ويراوح في خططه بين الإستراتيجيات الخشنة والإستراتيجيات الناعمة، فبينما اعتمد إستراتيجية الحرب الخشنة في الهيمنة على السلطة في العراق بعد الغزو الأمريكي، وكذا حاول إيجاد موطئ قدم في أفغانستان؛ فإنه سارع خطواته الخشنة مؤخرًا للسيطرة على مقدرات الأمور في اليمن، بينما سار في كل من لبنان والبحرين على طريقة إستراتيجية الحروب الناعمة، من خلال تنشئة العناصر القيادية الدينية والسياسية بين قم وطهران، والإكثار من إنشاء الحوزات العلمية المرتبطة بالمؤسسة الدينية الإيرانية، مع التوسع في الأنشطة «الخيرية» الشاملة بغرض تمكين المذهب الشيعي.. كل ذلك تنفيذًا لفكرة «أم القرى» التي تسيطر على العقلية الإيرانية، حتى قبل أن يصوغها «لاريجاني» في صورة نظرية، حيث جعل المنظرون

للمشروع الإيراني طهران مركز الأهمية السياسية والإستراتيجية في الوسط الإقليمي المحيط، الذي يطلقون عليه «إقليم جنوب غرب آسيا»، وتعد إيران تلك المنطقة، التي تشمل: العراق والشام والجزيرة العربية وربما سيناء، منطقة مصالح ونفوذ، وعندما يطلق في الإستراتيجية الإيرانية مصطلح «الإقليم» فهم يعنون هذه المنطقة. ويلاحظ أنها المنطقة ذاتها التي سعى المشروع اليهودي الصهيوني ولا يزال يسعى لبسط الهيمنة عليها، وخاصة ما يعرف عندهم بأرض «إسرائيل الكبرى» من النيل للفرات.

ويبدو أن الإيرانيين لم يعودوا محتاجين إلى مبدأ «التقية» للتغطية على أطماعهم في المنطقة العربية أو «إقليم جنوب غرب آسيا» الذي سماه صهاينة اليهود والنصارى «إقليم الشرق الأوسط»؛ فقد أدلى اللواء «محسن رضائي» (القائد السابق للحرس الجمهوري الإيراني، والذي تولى بعد ذلك منصب رئيس مصلحة تشخيص النظام) بتصريح قال فيه: «عندما أتحدث عن الإقليم فهذا يعني جنوب غرب آسيا، وتركيزنا على هذه المنطقة بالتحديد لاعتقادنا أن لها قدرات كبيرة تتجاوز منطقة الشرق الأوسط، والتركيز على هذه المنطقة يوفر

لإيران إمكانات كبيرة جدًّا للحفاظ على أمنها القومي»[3].

لا شك أن مشروعًا بذلك الطموح التوسعي لا بد أن يستند إلى حائط منيع من القدرات العسكرية، من الأسلحة التقليدية وغير التقليدية، لتغطية السياسات الدفاعية والهجومية. وتصر إيران على أن تكون لها قوة نووية رادعة، تمنع وقوف أي قوة تعارض تمدد مشروعها المستقبلي، وهي تلعب في هذا الموضوع بعامل الوقت، وتستغل التناقضات الدولية للوصول إلى أهدافها، كما برهنت على ذلك وقائع تعاملها مع دول الغرب فيما يتعلق بمشروعها النووي.

وبخلاف تطلعاتها النووية، فإن إيران تقوم بمناورات عسكرية (هجومية) منذ منتصف التسعينيات تبلغ 200 مناورة سنويًّا، وهي لا تخفي هدفها الواضح في ذلك، وهو الهيمنة على منطقة الخليج عندما يحين الوقت، ولديها سيناريوهات متعددة في ذلك، فقد كان هناك سيناريو لغزو البحرين في أواخر التسعينات الميلادية لكن تم تأجيله بعد أن لاحت فرصة للسيطرة على العراق بالتعاون مع أمريكا[4] فرأت إيران أن فرصة الهيمنة على العراق أولًا لا تعوض.

إيران بمثل هذه المناورات لا تريد فقط أن تتحول بمشروعها إلى دولة إقليمية كبرى، بل إلى قوة عالمية عظمى تتحكم بمنابع النفط، وممرات الملاحة في ثلاثة من أخطر المضايق الحيوية لاقتصاد العالم، وهي: مضيق هرمز، ومضيق باب المندب الذي يتحكم بدوره في قناة السويس. ومضيق هرمز الواقع تحت السيطرة الإيرانية التامة هو بمفرده يمر عبره 18 مليون برميل نفط يوميًّا، أي أكثر من نصف إنتاج منظمة أوبك.

إيران بهذا تزاحم المشروعين الأمريكي والصهيوني في المنطقة، وتضطرهما إلى مهادنته لتقاسم المصالح معه بالإكراه والإلزام، كما حدث بعد غزو الأمريكيين للعراق عام 2003م، بتخطيط من المحافظين الجدد، عتاة اليهود في العالم.

لقد تحول المشروع الإيراني إلى قلق عالمي منذ عام 2010م بعد أن اكتملت هيمنة إيران على مثلث (العراق - لبنان - سوريا) وهذه الهيمنة التي أصبحت واقعًا بعد تمكن إيران من العراق عام 2005م شكلت الانطلاقة الأكبر لتصدير الثورة الإيرانية بعد ربع قرن من انطلاقها، فراحت إيران تتطلع إلى الاستيلاء

على اليمن والسواحل الشرقية للجزيرة العربية، وهو ما جعل المشروع الإيراني ندًّا للمشروع الأمريكي ونظيره الصهيوني. ويظل السؤال: أين المشروع العربي السني وسط صراع المشروعات هذا؟

تظل الأبعاد السياسية والإستراتيجية للمشروع الشيعي مربوطة بالأبعاد الدينية المذهبية، كما ذكرنا آنفًا، ويدل على ذلك دلالة عملية صارخة أن القيادة الدينية تنفرد وحدها بقيادة الحرس الثوري الإيراني، وهو أقوى وأحدث تسلحًا من الجيش النظامي نفسه.

إن المشروع الشيعي بدا في مظهره الأخير مطوقًا جزيرة العرب من أركانها الأربعة، وبدت إيران - لا مكنها الله - على مقربة من المراحل النهائية للوصول إلى أرض الحجاز، خاصة بعد استيلائها على اليمن عن طريق وكلائها «الحوثيين الشيعة».

هذا، وللمشروع الشيعي أبعاد أخرى اقتصادية وإعلامية وثقافية يطول معها الحديث، ولكنها كلها تسير وفق رؤيته المذهبية العدائية

للسنة وأهلها، إنه مشروع مشبع بإرث الثارات الدينية المفتراة، ومحمل بحمولة

المظلوميات التاريخية المدعاة، في تشابه عجيب مع المشروع الديني الصهيوني المعاصر، المطابق للمشروع التاريخي الديني النصراني، حيث صادفت أطماع الجميع تلك الأراضي بالذات من النيل إلى الفرات وما حولهما شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا من «أرض النبوات والنبوءات» التي تتضاعف اليوم حولها وفي جنباتها وتيرة الصدامات والصراعات بين سائر المشروعات.

إن استراتيجية إيران ورؤيتها لمشروعها الإقليمي واحدة من أبرز المتغيرات الجدلية عند تناول الأوضاع الإقليمية، لا سيما في أوقات الأزمات وما تحمله من تغيراتٍ متلاحقة، كما هو الحال الآن. إذ تطرح الحرب الدائرة على الأراضي الفلسطينية العديد من التساؤلات والتكهنات بشأن مستقبل الإقليم برمته، وفي القلب منه غزة؛ رمزًا لمجمل الصراع في اللحظة الراهنة، خاصةً في ظل حالة التداعي التي تعصف بالجانب العربي، وبما يترافق مع حضورٍ إيراني إشكالي. ويمكن بلورة المشهد في عددٍ من القضايا والتساؤلات على مستوى مختلف

الفاعلين الإقليميين والدوليين ذوي الصلة. فعلى الجانب الإيراني، من المهم تفنيد حقيقة الأبعاد القيمية والحضارية في السياسة الإيرانية، والتي ترفع شعارات

نصرة المظلومين والمستضعفين حول العالم، ولكن هل يمكن ذلك بينما هي تتبع سياسات يُشهد لها بالطائفية في الداخل والخارج في سياق ما يُسمى "الجيوبوليتيك الشيعي"؟ ولكن إذا تحدثنا عن الطائفية على الصعيد الخارجي خاصة، فهل تتحمل مسؤوليتها طهران وحدها، أم قد يكون الجانب العربي شريكًا بشكلٍ أو بآخر عبر ترك المجال لهذه الطائفية؟

ولكن تناول الأمر لابد أن ينطلق أيضًا من عددٍ من المرتكزات، من قبيل أن إيران دولة من المستبعد إنزواؤها عن لعب "دور" إقليمي، وذلك بحكم التكوين التاريخي والموقع الجغرافي فضلا عن الخصائص الأيديولوجية للثورة الإسلامية. أما المرتكز الثاني، فينقلنا إلى المستوى المتعلق بالعالم العربي، حيث الغياب الاستراتيجي وأحادية وتجزيئية السياسات العربية في التعامل مع ما يُجابه المنطقة من تحدياتٍ وتهديدات من داخلها أو من خارجها (السياسات الأحادية التطبيعية

مع إسرائيل)، فضلا عن عدم امتلاك رؤية استراتيجية استيعابية جامعة لمكونات الإقليم للحيلولة دون تمكين الطائفية الإيرانية، أو تلاعب القوى الكبرى.

على مستوى القوى الإقليمية الأخرى، نجد أن القشة التي تقصم ظهر البعير دومًا هي القشة الإسرائيلية، التي عبر سياساتها -بل جرائمها- إزاء الفلسطينيين تعطي لإيران المبرر للتحرك في أي مساحة متاحة في ظل تيهٍ عربيٍ متعمد. هذا التيه الذي يجعل من الأيسر والأجدى لطهران إدارة علاقاتها مع منافسيها الإقليميين الآخرين بما في ذلك إسرائيل مقارنةً بالجانب العربي، حتى إنه لا غضاضة من القول بأن العالم العربي ما هو إلا ساحة منافسة بين الطرفين، بجانب الفاعل التركي، الذي نراه يدير حساباته بدقةٍ عالية مهما تصاعدت الضغوط التي يُجابهها.

لا شك أن مستقبل التفاعلات الإيرانية الإقليمية يرتبط كذلك بالسياق الدولي؛ سواء تعلق الأمر بالولايات المتحدة أو منافستيها: روسيا والصين، فما الثابت والمتغير في استراتيجيات هذه القوى؟

في سياق هذا كله، كيف سيكون مصير حالة إقليمية مأزومة تتلخص أهم سماتها في: انهيار مجموعة دول عربية (العراق، سوريا، اليمن، لبنان، الصومال، السودان،

ليبيا)، تتصارع على مقدراتها مجموعات من الجماعات المسلحة المدعومة من هذا الطرف أو ذاك، وخلافات بينية سياسية وطائفية، وصراعات وأزمات اقتصادية متلاحقة، جراء سياسات قصيرة المدى فاشلة، ضمن أزمات عالمية تضع أوزارها على عاتق شعوب أمتنا، ... لتتراجع -على وقع تلك الأزمات- قضايانا الكبرى؛ وعلى رأسها الصراع الوجودي مع إسرائيل. هذه الأوضاع تمثل محفزات لقوى إقليمية وعالمية لتعبث بمقدرات الإقليم.

من ثم، فوفق خبرة تلك المنطقة التي اعتادت لعقودٍ تعاقبَ الحروب والصراعات، فكأن انتهاء حرب ما هو إلا مرحلة استعداد لتلك التي تليها، نتساءل: هل انتهاء الحرب على غزة -متى حدث- سيكون مجرد خطوة جديدة على هذا المسار؟! هل يمكن لإيران أن تحقق نصرًا -أو لنقل: مكاسب- دون دخول مباشر في الحرب، وأيًّا كانت نتائج هذه

الحرب، عبر دعم سيطرة مشروعها الإقليمي؟ هل يمكن القول بأن ثمة توجهات جديدة للسياسة الخارجية الإيرانية تتشكل ملامحها عبر مواقفها في طوفان الأقصى (التحرك بوتيرة حذِرة، وإن كانت متغيرة من مرحلة لأخرى أثناء الحرب، أيضًا إعطاء أولوية للخطاب الدبلوماسي)، وإن لم تختلف

الثوابت؟ وهل يدفع الإقليم الثمن مجددًا في دوله المنهارة بالأساس، وتحديدًا في سوريا والعراق؟

فلقد تطور مفهوم المحور الإيراني (إيران، والجماعات المسلحة التي تدعمها في العراق ولبنان وسوريا واليمن، فضلا عن حركات المقاومة الفلسطينية التي لها خصوصيتها) ومشروعه الإقليمي في بيئة مواتية أسهمت في دعمه وترويجه على المستوى الجماهيري. كان من بين ملامح تلك البيئة التغيرات الداخلية في إيران عقب الثورة الإسلامية، سياق عربي يعاني الضعف والتمزق، وصراع دولي حول المنطقة تقوده العديد من القوى الكبرى[1]، تلك السياقات، وإن كان لا يمكن القول بأنها قد تبدلت اليوم تزامنًا مع طوفان الأقصى، إلا أنها شهدت بعض المستجدات؛ بعضها يخدم المشروع الإيراني والآخر يقيده. فكيف أثرت

ومن شأنها أن تؤثر تلك المستجدات على التفاعلات الإيرانية مع الحرب على غزة، وكيف ستنعكس بدورها هذه الحرب

معالم الاستراتيجية الإيرانية إزاء الحرب على غزة حتى الآن:

فعلى خلاف ما يُشاع بأن عملية طوفان الأقصى جاءت

بتوقيت مناسب للإيرانيين؛ حيث عطلت مسار التطبيع العربي الإسرائيلي الجاري، فإنها أيضا أثرت سلبًا على مسار التفاهم الإيراني الأمريكي. فقبل الطوفان بفترة وجيزة، كان يبدو أن الإيرانيين على وشك فك الجمود الذي ساد التفاهمات مع واشنطن، فاتفاقية تحرير السجناء الخمسة وتحرير ستة مليارات دولار لصالح إيران شكلت أملا للإيرانيين في تفكيك الحصار الاقتصادي. وفي الفترة نفسها، شهدت صادرات النفط الإيرانية مستويات إنتاج مرتفعة، وذلك وفق ما ذكرته شركة "كبلر". وبحسب الشركة نفسها، تجاوزت الصادرات الإيرانية حاجز 1.5 مليون برميل يوميًّا في مايو 2023؛ وهو أعلى مستوى شهري لها منذ عام 2018؛ السنة التي ألغى فيها الرئيس دونالد ترامب الاتفاق النووي[3].

وبالتالي، تبذل قيادة النظام الإيراني جهوداً كبيرة وفق حساباتٍ معقدة من أجل الحفاظ على ما استطاعت تحقيقه على المستويين الإقليمي والدولي في ظل ما تشهده منطقة الشرق الأوسط من تطورات نتيجة المعركة الجارية. فقد وجدت طهران نفسها في معضلة جعلتها على حافة الهاوية، فهي -من ناحية- ترغب في

الحفاظ على حركة "حماس"، والتي هي جزء من المشروع الذي عملت على إنشائه مع حلفائها في الإقليم تحت اسم "وحدة الساحات"، 《من وجهة نظر إيران》

ومن ناحية أخرى لا تريد إيران خسارة ما حققته على المستوى الدبلوماسي لحلحلة أزماتها.

وفي هذا الإطار، أكد العضو في مجمع تشخيص مصلحة النظام الإيراني، غلام علي حداد عادل، أن إيران رفضت المشاركة في حرب غزة لتجنب الحرب مع الولايات المتحدة.

واعتبر حداد أن إسرائيل كانت تأمل أن تتورط إيران في حرب غزة لتدخل في مواجهة مع الولايات المتحدة. كما أشاد وزير الخارجية الإيراني السابق محمد جواد ظريف، بموقف المرشد الإيراني علي خامنئي، بالامتناع عن الدخول في الحرب بجانب حماس، واصفًا ذلك بالموقف "الذكي". وأضاف ظريف: "دعمنا للمقاومة الفلسطينية، لا يشمل الحرب بجانبهم".

وعليه، كان من أهم ملامح الموقف

الإيراني تجاه غزة:

تفعيل المسار الدبلوماسي والسياسي، وقد التزمت إيران بالتحذير الدائم من تداعيات تطور الأمور وما يمكن تؤدي إليه من انفلات يودي بالمنطقة إلى حرب مفتوحة. ومن أبرز الجهود الدبلوماسية في هذا الإطار، التواصل المستمر من قبل مسؤولي النظام الإيراني خاصة رئيس الجمهورية ووزير خارجيته، مع الدول المعنية؛ سواء عبر الاتصالات التلفونية أو الجولات بالمنطقة[6].

- تتمسك طهران بخيار التصعيد المتدرج والمنضبط، عبر توزيع الأدوار على جماعات حليفة لها في جبهات متعددة تشمل لبنان، وسوريا، والعراق، واليمن. وتظل حريصة على تجنب خوض حرب شاملة قد تقوض النظام الإيراني، أو قد ينتج عنها تدمير قدرات حزب الله بصورة استراتيجية[7].

- في الوقت ذاته، تترك إيران مساحة حركة لحلفائها الإقليميين في تقدير الموقف الميداني، والتعامل معه بناء على المصلحة التي تخدم المشروع العام للمحور[8]، مع الأخذ في الاعتبار السياقات المحلية

لكلٍ من أطراف المحور. فقد أظهر المحور تفاعله عبر معادلةٍ، ركنها الأول أن وحدة الجبهات تقوم على استقلالها، فكل جبهة تملك حرية إدارة الصراع في جبهتها، والمحور ليس إطاراً لإدارة المركزية لكل الجبهات؛ ولذلك؛ فإن جماعة الحوثي في اليمن يقدّرون وحدهم حسابات جبهتهم ومتى يقبلون الهدنة، ومتى يهدّدون بالتصعيد[9]. كما أن حزب الله هو حزب سياسي لبناني، يشارك في الحكومة منذ 2005. علمًا أن لبنان يواجه الآن أزمة اقتصادية صعبة، وأي حرب مع

إسرائيل ستفاقم تلك الأزمة[10]. وبالتالي، تواجد الحزبُ في المعركة، ولكنه التواجد المحسوب أيضًا، والذي كان يُربط في بعض الأحيان بأمن لبنان.

- الرد على الاستهداف المباشر (كالردّ على استهداف القنصلية الإيرانية بدمشق)، ولكنه أيضًا الرد المحسوب؛ وذلك ليس بالأمر الجديد في استراتيجيات الرد الإيراني. ومن الخبرات السابقة: الرد على عملية اغتيال قاسم سليماني؛ إذ جاء الرد الإيراني محسوبًا بدقة، فبعد بضعة أيام قصفت

إيران قاعدتين للقوات الأميركية بغرب العراق وشماله. وكان ذلك قصفًا منسقًا لتجنب حدوث أي ضرر مبالغ فيه، حتى قالت بعض الأصوات الإيرانية إن الرد الحقيقي على مقتل سليماني هو استمرار مشروعه التوسعي في بناء شبكة المليشيات وتوحيد ساحاتها، وليس تعريض المنجز الذي جرت المراكمة عليه إلى مغامرة عسكرية[11].

2- رؤية إيران للعالم والإقليم (المشروع): بين الأيديولوجي والاستراتيجي

تتعدد الاتجاهات حول تصور الهوية الإيرانية المشكلة لمشروعها الإقليمي، بين من يرى أن بناء الهوية الإيرانية يدور حول العلاقة بين الهويتين الإسلامية والإيرانية والعلاقة التاريخية مع الغرب، ومن يعتبر أن استراتيجيتها تقوم على الموازنة بين المكونين، فضلا عمن يؤكد التنافس بين الهويتين الإسلامية والقومية[23] .

وبالعودة إلى الدستور الإيراني، نجد أنه يحاول أن

يضفي على إيران سمة عالمية من مرجعية إسلامية، لكنها ليست كافية في نزع الغطاء الطائفي إذا قورنت بالممارسات... ينص الدستور الإيراني في المادة ١٥٤ على الاستقلال والحرية وسيادة القانون والحق حقًا لجميع شعوب العالم. وعليه، فإن إيران تدعم النضال المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين في جميع بقاع العالم[24].

وبالتالي، من الصعب الفصل بين المشروع الإقليمي لإيران وبين نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية. فنظام الجمهورية الإسلامية يمكن وصفه بأنه نظام ثوري يسعى إلى التغيير وتصدير الثورة لفرض نموذجه على دول الجوار، كما يمكن وصفه بأنه نظام أيديولوجي،

دفعته الشعارات إلى الصدام مع دول الجوار والقوى العالمية، الأمر الذي يعنى حتمية التورط في سياسات تدخلية في الشؤون الداخلية للدول، والتحالف مع قوى سياسية داخلية، والصدام مع أطراف دولية وإقليمية أخرى.

كما أن هذا النظام يتسم بكونه مذهبيًّا طائفيًّا حيث تنص المادة رقم 13 من الدستور على أن "الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب هو الجعفري الاثنى

عشري"، وبالتالي كان السؤال الإشكالي دومًا، هل الجمهورية الإسلامية مشروع إسلامي عالمي، أم هي مشروع شيعي طائفي[25]؟ لاسيما أن إيران الثورة وظفت الدين وجعلته محور خطابها الإقليمي، بينما جاءت ممارساتها تحمل العديد من المشاهد الإشكالية، ومن تلك المشاهد الموقف الذي اعتبره كثيرون دون المتوقع في التفاعل مع طوفان الأقصى[26].

وهنا نشير إلى واحدة من أهم الركائز المعلنة للسياسة الخارجية الإيرانية؛ ألا وهي "نظرية أم القرى" لمحمد جواد لاريجاني مستشار

المرشد علي خامنئي في الشؤون الخارجية وسكرتير المجلس الأعلى لحقوق الإنسان، وقد ضمَّنها كتابه: مقولات في الاستراتيجية الوطنية، عام 1987. ومما جاء فيه التأكيد على علاقة النمو والتكامل بين أم القرى والعالم الإسلامي: إذا وقع هجوم على الإسلام من أي مكان في العالم، أو جرى الاعتداء على حقوق المسلمين، فإن أم القرى ترعد وتزمجر وتنهض للدفاع، ومن المؤكد أن الحكومات الجائرة لن تتحمل ذلك. وفي مثل هذا الوضع، فإن على كل الأمة الإسلامية واجب الدفاع، وليس فقط شعب أم القرى، ومن ناحية أخرى كلما أظهرت الأمة الإسلامية

استعدادًا أكثر للدفاع عن حياة أم القرى، فإن حكومات ونماريد الاستبداد سيلتزمون ضبط النفس عليها[27]. وهو ما يستدعي بالتبعية مبدأ وحدة الساحات، الذي تداعت في سياقه الأسئلة فيما يتعلق بالدور الإيراني بشأن الحرب الأخيرة الجارية على غزة[28].

هذا على المستوى الكلي، لكن هذا لا يمنع اختلاف رؤى التيارات السياسية الإيرانية، لترتيب أولويات سياسات بلادهم الخارجية. فما

الخريطة المفصلة لهذه الرؤى، وأين تضع الشأن الفلسطيني؟ وكيف تسكنه في سياسة إيران الإقليمية[29]؟

ذلك حيث تختلف السياسة الخارجية الإيرانية في بعض تصوراتها ما بين التيارين الإصلاحي والمحافظ، فالتيار الإصلاحي، أكثر مرونة وقبولا للانفتاح على العالم، أما التيار المحافظ فينطلق في سياسته الخارجية من معاداة الخارج، لاسيما الغرب[30]. ذلك علمًا أن هناك تنويعات داخل كل من التيارين، (محافظ تقليدي، محافظ أصولي ثوري، إصلاحي معتدل أم إصلاحي متطرف)[31].

تنعكس هذه التباينات بشكل واضح داخل مؤسسات الحكم في إيران، لاسيما فيما يتعلق بالسياسة الخارجية. على سبيل المثال، يُصرح محمد جواد ظريف وزير الخارجية الإيراني السابق؛ بأنه في حال اتخذت إيران موقفًا أكثر تطرفًا بشأن غزة، فقد يؤدي ذلك إلى إثارة نزاع مميت مع الولايات المتحدة، وهو ما سترحب به إسرائيل، كما صرح "دعمنا للمقاومة لا يشمل الحرب بجانبهم"[32].

المؤسسات الإيرانية المشاركة في صنع السياسة الخارجية:

حيث تعاني السياسة الخارجية الإيرانية من تعدد الجهات الفاعلة وصناع القرار؛ بدءًا من المرشد الأعلى علي خامنئي وحتى الحرس الثوري ومجمع تشخيص مصلحة النظام، ثم عشرات المؤسسات الثقافية والاقتصادية والسياسية. ويُعتبر "الحرس الثوري" جهة فاعلة قوية في السياسة الخارجية الإيرانية، كما أُشير، وقد برز دور هذه المؤسسة العسكرية في هذا المجال عقب اندلاع الحرب في سوريا والعراق. وقد نشرت مجلة "الدراسات الاستراتيجية للسياسات العامة"

التابعة لـ "مركز الدراسات الاستراتيجية بالرئاسة الإيرانية" تقريراً بعنوان: "تضرر السياسة الخارجية الإيرانية من الناحية المؤسسية"، والذي يتناول العواقب السلبية لهذه التدخلات. إذ ذكرت هذه الدراسة أن العمل الموازي للمؤسسات المحددة للسياسة الخارجية الإيرانية أي "التيار الديني"، و"البيروقراطية" و"الديمقراطية" و"التيار العسكري" هو أهم أسباب إخفاقات إيران.

وترى الدراسة أن اتباع الأفكار المجردة لرجال الدين والثوريين خارج الحدود الإيرانية دون الاهتمام بالمعادلات الدولية دفع العديد من الأطراف في ساحة العلاقات الدولية إلى النظر إلى الجمهورية الإيرانية على أنها قوة تخريبية للنظام العالمي.

وجاء في هذا التقرير أن المستشارين العسكريين يعينهم الحرس الثوري والجيش، ولا سيما هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة، وأن عدم تنسيق الهيئات الثقافية والتجارية والعسكرية مع جهاز وزارة الخارجية، لا يُعتبر تهديدًا لأمن البلاد فحسب، بل زيادة من نفقات الوزارة في قطاع العلاقات الخارجية على

نحوٍ غير مسبوق أيضاً. كما ورد في هذا التقرير أن "البرلمان عجز عن تقديم أداء مقبول في مجال السياسة الخارجية حتى الآن، لأنه يفكر ويتخذ القرارات بشكل "محلي"[33].

ذلك حيث نجح المرشد الأعلى علي خامنئي في تحويل كلّ مفاصل الحكم بيد «المتشدِّدين» وعناصر «الحرس الثوري» السابقين، والمتبنّين لمواقف المرشد الأعلى، حتى أنه أصبح من الصعب اليوم

الحديث عن معادلة جناح «الإصلاحيين» أمام جناح «المحافظين». وقد سبق لرئيسي أن أعلن أن حكومته تقوم على مبادئ «الثورة الإسلامية» ونهج مؤسِّسها روح الله الخميني، بمعنى أنه لن يخرج من عباءته[34]. حيث ينتمي رئيسي إلى الجناح المحافظ الذي يضع إيران في صفّ القوى الشرقية الصاعدة، ويزيد غياب الثقة تجاه الغرب، التي تفاقمت عقب فشل الاتفاق النووي. إلّا أنّه على جانب آخر، سياسة رئيسي تتميّز باستنادها إلى منطق جيوسياسي لا عقائدي، ما يشير إلى توجّه أكثر براجماتيّة ولكن مناهض للغرب بالقدر نفسه[35]، وهو ما اتضح في براجماتية الموقف إزاء طوفان الأقصى، مع تأكيد الخطاب على الشعارات الثورية.

ثانيا مشروع شرق أوسط جديد ﴿المشروع الصهيوامريكي﴾

يقصد بمفهوم الشرق الاوسط الجديد المخططات الإسرائيلية المحكمة التي ترمي من خلالها الى تحديد الشرق أوسط بخاصيات جديدة تتناغم مع أيديولوجيتها وأهدافها وكافّة مصالحها على المدى البعيد.

حيث تبنت الولايات المتحدة الأمريكية هذا المشروع ورعتها الاتفاقيات المتعاقبة بين العرب والإسرائيليين تحت غطاء "اتفاقيات السلام".

ومن بين أهداف هذه الاتفاقيات "فرض هوية جديدة على أبناء الأمة العربية تتلاشى فيها أو تضيع المرجعية العربية لصالح وعاء فضفاض تمت تسميته بـ "الشرق الأوسط الكبير" واحيانا بـ"الشرق الأوسط الجديد".."

ويوجد مفهوم "الشرق الجديد" في العديد من الاتفاقيات الموقعة في أواخر التسعينيات، مثل اتفاقيات كامب ديفيد التي وقعتها إسرائيل ومدار عام

1979، واتفاقيات أوسلو التي وقعتها إسرائيل ومدار عام 1993.

إنشاء مؤسسات حكم ذاتي فلسطينية انتقالية بين حكومة ياسر عرفات الفلسطينية وإسرائيل، واتفاقية وادي ألبا عام 1994 بين الأردن وإسرائيل.

وقد تبنت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الرؤية بشكل كامل في خططها، وأصرت على خريطة جديدة للشرق أوسط متوافقة مع مصالحها ومصالح إسرائيل، لتحل محل الخريطة القديمة التي شكلتها فرنسا وبريطانيا في أوائل العشرينيات.

جهود يتبعها سراب

بذلت محاولات مختلفة لتحقيق هذا المشروع خلال السنوات الماضية من خلال الضغط على إيران عبر العقوبات والاتفاق النووي، وخلق الفوضى والانقسامات الطائفية والمذهبية في العديد من البلدان، بما في ذلك سوريا، التي تحولت إلى فيدرالية باسم إنهاء الحرب

الأهلية. كذلك تجلّى ذلك من خلال مختلف المساعي الرامية لإنهاء القضية الفلسطينية تحت غطاء ما أطلق عليها ترامب "رؤية ترامب للسلام" والمدعومة باتفاق التطبيع الذي أبرمته الإمارات والبحرين.

أمّا على المستوى التاريخي وباعتبار أنّ هذه الركيزة المتمثلة في التسوية السلمية هي اتجاه تاريخي تعود جذوره لأواخر الستينات من القرن المنصرم فإنّه ساهمت عوامل تاريخية في مزيد تجذّره وأهم عامل كان خلال نهاية الحرب الباردة وانتهاء القطبية الثنائية، ممّا جعل النظام الاقليمي العربي يفقد قدرته على المناورة بين القطبين، والحال أنّ النّظام وقتها كان في حالة انهيار بعد اشتعال حرب الخليج الثانية.

وإثر هذه العوامل تمكّنت الولايات المتحدة الأمريكية من البروز كقوّة عالمية يصعب مواجهتها لها كل الآليات التي تمكّنها من السيطرة وكسب النفوذ وتحقيق المصالح والعمل خاصّة على تدعيم إسرائيل مستغلة بذلك حالة الفراغ الاستراتيجي في المنطقة.

ولذلك فإن أساس الشرق الأوسط الجديد هو استبعاد

كافة خصائص القوة العربية في المنطقة، من أيديولوجية وقوة وأنظمة جغرافية وثقافية وسياسية وحضارية، لصالح تكتلات والتجمعات الاقتصادية بقيادة إسرائيلية أمريكية.

الاستراتيجية تظهر أن نظام الشرق الأوسط الجديد يقوم على أربعة عناصر رئيسية: التكنولوجيا الإسرائيلية والطاقة الخليجية.

الموارد، فضلاً عن توجه مصر نحو إسرائيل، إلى جانب مشروع المياه التركي الذي أقره الرئيس التركي الأسبق عام 1993، والذي تضمن بيع وتوصيل المياه التركية إلى إسرائيل لسد احتياجاتها، وكان في الواقع يضم بعض الصهاينة. أهداف تخدم مصالحها السياسية والجغرافية.

وهو ما كان قد أشار اليه الرئيس الاسرائيلي السابق "شمعون بيريس" في كتابه "الشرق الأوسط الجديد" الذي زعم فيه رؤية اقتصاد السلام كبديل للحروب القائمة في المنطقة، بحيث تربط الدول العربية والمحتل الصهيوني علاقات اقتصادية في سعي

لشرعنة الوجود الاسرائيلي، ليس ذلك فقط بل بروزه كلاعب رئيسي في المنطقة وفي العالم من خلال التطبيع وتجاوز أي شكل من أشكال القطيعة معه، حيث كتب "أولا وقبل كل شيء هندسة معمارية

ضخمة، هندسة تاريخية لبناء شرق أوسط جديد متحرر من صراعات الماضي ومستعد لأخذ مكانه في العصر الجديد، العصر الذي لا يطيق المتخلفين ولا يغفل الجهلة".

إدراج إسرائيل ضمن مختلف الأنسقة الاقتصادية العربية المتعلقة سواء بالمياه، النفط السياحة، الثقافة..

طوفان الأقصى يقلب الطاولة

لم يكن طوفان الأقصى متوقعا في ظلّ تكالب بعض الدول العربية على التطبيع مع إسرائيل وتعزيز العلاقات معها، حيث أنّ خسارة الاحتلال الصهيوني لحربه ضدّ حركة المقاومة عرقل نسق بناء مشروع الشرق الأوسط الجديد، ما أدّى إلى إلغائه المبكّر رغم اعتباره مشروع استراتيجي وتاريخي متماسك لا يمكن للولايات

المتحدة الأمريكية أو الكيان الصهيوني أو العملاء العرب التنازل عنه بأي شكل من الأشكال خاصّة لما ورائه من مصالح مشتركة مبنية تاريخيا أو المنطقة.

كما يجدر الذكر أن الأهداف الواضحة للمقاومة الفلسطينية في الوقت الحالي هو وقف الهجمات وتأمين إطلاق سراح الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية. لكن ذلك لا يضع جانبا كل الأهداف الاستراتيجية، رغم الأولوية التي تتمتع بها القضية الفلسطينية. حيث أدّى عمليات التطبيع في الشرق الأوسط الى عرقلة التطبيع الإسرائيلي السعودي، على الرغم من مساعي الولايات المتحدة الأمريكية لدعم هذا التقارب.

كما يمكن أن تتأثر جهود التطبيع بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة والبحرين والمغرب سلبا حسب ما أشارت إليه العديد من المصادر، ويمكن ايضا أن تزيد التحديات فيما يتعلّق بالتطبيع بين تركيا وإسرائيل.

وظّف الكيان الصهيوني كل قدراته العسكرية

والاستخباراتية والأمنية، بدعم كبير غير مسبوق من الولايات المتحدة رغم ذلك لم يكن قادرا على تحقيق أهدافه المعلنة فقط، بل تعرض لهزيمة فادحة على يد حماس.

إضافة إلى ذلك، فإن خسائر الكيان الصهيوني حربه ضدّ المقاومة، التي لا تملك حتى واحداً بالمائة من إمكانيات الكيان الإسرائيلي، هي أكثر من ضعف خسائر هذا الكيان في الحرب مع مصر وسوريا ولبنان والعراق والأردن والجزائر وليبيا وتونس والكويت والمغرب والسعودية عام 1973!

كما أنفقت الولايات المتحدة، بكل الأشكال المباشرة وغير المباشرة، ما يناهز 4 تريليونات دولار من أجل بناء مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي وضعته على جدول أعمالها بشكل جدي منذ عام 2006، وهو ما يعادل كامل تكلفة الحرب العالمية الثانية.

كذلك الحرب السورية لم تكن بمنأى عن تكليف الولايات المتحدة خسائر بلغت حوالي 500 مليار دولاراً، وأنفِق أكثر من 600 مليار دولار في اليمن

لتدمير أنصار الله. كما أنفق الكيان الصهيوني بمساعدة الولايات المتحدة تكاليف لا يمكن حصرها في معركة طوفان الأقصى لحد الآن.

لكن ما حدث في النهاية كان معاكسا تماما لأهدافهم وهو تنامي قوة جبهة المقاومة، وتنامي الكراهية ضد الولايات المتحدة في المنطقة.

نتنياهو ومصير جورباتشوف المحتوم

وعلى العكس من كل خيالات نتنياهو وواقعه الموهوم، كانت الظروف في الداخل والإقليم والعالم معاكسة، وتشير إلى مبالغته وتوهمه وتجاهله لأوراق القوة التي بيد الخصوم، واستخفافه وسوء قراءته للظروف الجديدة والمتغيرات الجديدة التي تصب في مصلحتهم، وتمنحهم إمكانية أكبر على المناورة وتنفيذ أنشطتهم المقاومة المضادة، هذه الظروف هي:

أولاً: واقع تراجع الهيمنة الغربية الإمبريالية في الإقليم والعالم:

واقع الدخول في المسار الانحداري الذي تسارع أكثر،

خاصة بعد خسارة الغرب لمعركته مع روسيا في أوكرانيا، وفشله في تركيع روسيا وحلفائها اقتصاديا وجيوسياسيا وعسكريا وعزلها سياسيا، وهي المعركة التي أضعفت من النفوذ الأوروأمريكي الأطلسي عالميا، وهزت نتائجها هيبة الغرب أمام الشعوب، وتسببت في تسارع مسار بروز القوى القطبية الجديدة على مسرح العالم ككل وامتداد نفوذها الجيوسياسي إلى الإقليم.

فالظروف بعد أوكرانيا كانت مواتية للإقدام على هذه الخطوة العسكرية السياسية الفدائية، في توقيت تراجع نفوذ الغرب الإمبريالي.

ثانياً: تزايد عزلة الكيان دولياً وتراجع علاقاته بدول المعسكر الشرقي الأوراسي:

وفي وقت تتضعضع فيه علاقات الكيان الصهيوني مع الدول الشرقية الأوراسية الكبيرة (الصين وروسيا) بسبب انحياز الكيان إلى أوكرانيا من جهة، وميله إلى الانخراط في المشروع الجيوسياسي (الممر الهندي) الأمريكي الهندي الخليجي المضاد لمشروع طريق الحرير الصيني من جهة أخرى.

ثالثاً: أزمة الكيان السياسية والتصدع الداخلي:

وفي وقت تشتد فيه التصدعات في الجبهة الداخلية الصهيونية بسبب أزمة (التعديلات القضائية).

رابعاً: المصالحة العربية الإيرانية التركية:

وفي وقت ينطلق فيه قطار المصالحة العربية الإيرانية برعاية صينية، والمصالحة العربية التركية السورية برعاية روسية، سيكون إذن توقيتا

جيدا القيام بهذا الهجوم النوعي الاستباقي الكبير، وهذا الفعل المبادر الواعي الثوري المدروس ضد المشروع الجهنمي الشامل الذي يستهدف تصفية القضية الفلسطينية، والذي يضم كما نعرف جميعا حزمة مشاريع التطبيع وصفقة القرن و"الدين الإبراهيمي الجديد" ومشاريع الدمج الجيواقتصادي، وما إلى ذلك من مشاريع خطيرة مدمرة تهدف إلى التمكين للمشروع الصهيوني كقنطرة أساس للهيمنة الإمبريالية على المنطقة.

الصراع الجيوسياسي في منطقة الشرق الأوسط

والأطماع هنا شملت البعدين الجيواقتصاديين معا: الموارد المكتشفة والممرات البرية والبحرية في الإقليم الناقلة لها، سواء كانت بضائع أو طاقة أو خدمات، حيث ازدادت أطماع وتحركات قوى المشروع الصهيوأمريكي في الثروات الجديدة المكتشفة في أعماق وسط البحر الأحمر وفي غرب ووسط سوريا وفي شرق وجنوب اليمن وفي السودان وغيرها، والأهم في بحيرة الغاز الضخمة الواقعة تحت شرق المتوسط، حقول الغاز مثلا في غزة، وأهمها حقل غاز مارين، الذي تصل احتياطاته إلى عشرات الآلاف من الأمتار المكعبة، وأيضاً حقول غاز

شرق البحر المتوسط ككل قبالة شواطئ فلسطين ولبنان وسوريا ومصر على سبيل المثال، حيث استحوذ الكيان على عدة حقول ضخمة، وأظهر رغبة شديدة في السيطرة على أجزاء من حقول الدول العربية المجاورة، فضلا عن تجفيفه أحد حقول غزة، وسعيه في فترة الأشهر القليلة الماضية للاستحواذ على حقل مارين، متجاهلا تهديدات المقاومة الفلسطينية ومستندا إلى ضوء أخضر أوروبي أمريكي خليجي هندي!

وفي نظرهم أن الاستيلاء على غزة، وإعادة احتلالها وتصفية قوى المقاومة فيها سوف يسهل ابتلاع ثروات الغاز في البحر المقابل لغزة، ويسهل تنفيذ مشاريع "صفقة القرن" الاقتصادية في غزة وسيناء، والاستفادة من المزايا الجيوسياسية أيضاً للقطاع ويخدم في تأمين ممرات التجارة العابرة لأراضي فلسطين المحتلة شمال غزة (الممر الهندي -خط أنابيب إيلات -قناة بن غوريون).

وتتسع الأطماع الصهيونية في الممرات المائية والبرية الناقلة للنفط والغاز والبضائع في المنطقة ككل، وستجد أن هناك نشاطا مكثفا

وحراكا واسع النطاق للسيطرة ومد النفوذ الجيوسياسي على كل المناطق الحيوية من ممرات مائية ومضائق بحرية وجزر وموانئ وسواحل... إلخ، خاصة تلك التي تعاظمت منافعها مع تعاظم التجارة بين الشرق والغرب، وبروز المنافسة بين قوى المعسكرين الشرقي الأوراسي والغربي الاستعماري في السيطرة على هذه المواقع الجيوسياسية الهامة، والتركيز في الدرجة الأولى على هذه الممرات البرية والمائية التجارية العابرة للإقليم.

صراع الممرات

في فترة النشاط السري العلني المحموم، وتحديدا في السنوات القليلة الماضية ظهرت إلى العلن الخطط الشيطانية الجهنمية، خطط بناء ممرات مائية وبرية استعمارية بديلة (الممر الهندي الخليجي العبري - قناة بن غوريون -خط إيلات -عسقلان) لغرض ضرب مشاريع الممرات التي بدأت الدول المشرقية المعادية للغرب في بنائها: (طريق الحرير البري والبحري الصيني -الممر الهندي الإيراني الروسي أو ما يسمى ممر

الشمال جنوب -طريق التنمية العراقي أو ما يسمى القناة الجافة -ممر الشام الجديد مصر والأردن والعراق ومعها سوريا -وكذلك الممرات المصرية المتكاملة مع طريق الحرير مثل قناة السويس الثانية -خط عين السخنة البري من البحر الأحمر إلى مرسى مطروح في البحر الأبيض المتوسط -ممر طابا العريش، بل حتى مشروع الإسكندرية جوهانسبرج العابر لإفريقيا).

الممر الهندي وهرمز وباب المندب

فاجأ الأطلسيون المعسكر الشرقي الذي تقوده الصين وروسيا بمشروع جيوسياسي تآمري ضخم يهدد جزئيا المشاريع العملاقة لبناء الممرات المائية والبرية، هذا المشروع هو (ممر البخور الهندي الجديد)، الذي يراد له أن يحرك تجارة الشرق بالغرب وآسيا بأوروبا، عن طريق الهند إلى الخليج إلى الأردن فالأراضي الفلسطينية المحتلة ثم عبر حيفا الفلسطينية المحتلة إلى أوروبا، في تجاهل واضح لمصالح الصين وروسيا وإيران ومصر والعراق وسوريا وتركيا وغيرها، وهدفوا بذلك من خلال هذا المشروع:

أولاً: إضعاف أهمية ومكانة مضيقي هرمز وباب المندب، باعتبارهما شريانين بحريين هامين لجزء كبير من تجارة الشرق مع الغرب، ويمر فيهما جزء كبير من نفط الخليج إلى آسيا وإلى أوروبا، ولكون هذين الممرين هما أهم مكونات طريق الحرير البحري الصيني الجديد.

ثانياً: تلافي خطورة استخدام هذين الممرين في حال

نشبت حرب بين محور المقاومة والغرب الاستعماري وحلفائهما الصهاينة والرجعيين في الخليج، حيث تمتلك قوى محور المقاومة القدرة والإرادة معا على إغلاق هذين الممرين البحريين العالميين في وجه تجارة العدو، ذات الحجم المعتبر في التجارة العالمية.

وهو ما شهدناه يحدث تاريخيا وبشكل مفاجئ ويثير الإعجاب والفخر هذه الأيام في الموقف الوطني القومي الإنساني المشرف والنبيل الذي تتخذه صنعاء البطلة في الحرب الدائرة حالياً بين قوى محور المقاومة والعدو الصهيوني، عندما قررت حكومة صنعاء الوطنية المقاومة

وجيشها اليمني البطل إغلاق مضيق باب المندب أمام تجارة العدو الصهيوني تضامنا مع الشعب الفلسطيني، وللضغط على العدو وإجباره على وقف عدوانه وجرائمه بحق هذا الشعب البطل الذي يريد استعادة حقوقه التاريخية المشروعة. ﴿تحركات الجيش اليمني في هذا الإطار تظل ضبابية ويظل الحكم عليها ظاهريا حتي الآن ونتعبره موقفا بطوليا﴾ .

ثالثاً: كان ثمة هدف آخر من المشروع الهندي الخليجي العبري المدعوم أمريكيا وأوروبيا هو إبعاد السعودية

والإمارات عن الانضمام إلى "تكتل بريكس" أو الانخراط في مشروع "طريق الحرير البحري الصيني"، وإفشال بناء تلك الممرات أو إضعافها وعرقلة إمكانية نجاحها، واستغلوا الخلاف الهندي الصيني التاريخي، وعقدة كراهية الهندوس للإسلام الأصولي، وكراهية الحكومة اليمينية الهندوسية المتطرفة المتصهينة للإسلام ككل، وفي إطار سعيهم المحموم لإبعاد الحكومة الحالية الفاشية حكومة حزب "بهاراتيا جاناتا" في الهند، بل ولإبعاد الدولة الهندية بكلها عن الدوران في الفلك الأوراسي الصيني الروسي الكبير ومنظماته الأوراسية الكبرى،

ومحاولات إعادتها إلى الحظيرة الاستعمارية الغربية بالضد من تاريخها الوطني الطويل والمشرف والمناصر لقضايا التحرر الوطني وعدم الانحياز وميلها القديم لمناصرة الكتلة الشرقية في أغلب القضايا الحيوية، ولثنيها أيضاً عن مشروع ممر شمال جنوب الهندي الإيراني الروسي، والذي كان قد قطع شوطا معتبرا في مشوار تنفيذه، والذي هو على أي حال كان سيفيد الهند والخليج كثيراً في إيصال التجارة إلى روسيا وآسيا الوسطى وأوروبا الشرقية بشكل أسرع وأقل تكلفة!

إنه صراع الممرات الجيوسياسي - إذن عزيزي القارئ، صراع يطفو بوضوح على سطح المشهد السياسي الدولي والإقليمي اليوم، وهو الصراع الذي يكاد يغطي على حقائق الصراع الطبقي الاجتماعي والتحرري الوطني، ويطمس أو يحاول طمس حقائق أزمة النظام الرأسمالي الإمبريالي العالمي، وحقائق التمييز الاجتماعي واللاتكافؤ وتفاوت الدخل والإفقار للشعوب.

وهكذا نجد أن تحليل لوحة الواقع العالمي وتفسير جوانب الصراع العالمي الإقليمي ومشهده المعقد اليوم، أصبح بالغ الصعوبة، ويكتنفه الضعف والقصور والنقص، وبات يسبب تشويشاً وإرباكاً عجيباً

لأذهان مثقفي اليوم على اختلاف مشاربهم، خاصة المثقف العربي، الذي يقف هذه الفترة مصدوماً حائراً أمام هذه التحولات الدراماتيكية المفاجئة والغريبة الراهنة المتسارعة في العالم والإقليم.

اعتقد الغربيون الإمبرياليون وحلفاؤهم الصهاينة أن بإمكانهم اللعب جيوسياسياً، والعبث بمقدرات ومزايا المنطقة، والقفز على مصالح اللاعبين الآخرين، والاستخفاف بهم، في موقف يدل على الغرور والغباء

السياسي والتشوش والارتباك وضعف المعلومات عن إمكانات الآخرين وقدراتهم صغاراً وكباراً، وهي بلا شك علامة من علامات الضعف، وبداية التدهور والانحسار لقوى المشروع الصهيوأمريكي.

هذا هو الجانب الأهم في المشهد السياسي الذي كان قبيل السابع من أكتوبر، جانب الصراع الجيوسياسي الاقتصادي، وهو ما حفز بعض المراقبين والكثير من المثقفين، سواء كانوا من أنصار التفسير المؤامراتي الأسطوري (نظرية تواطؤ طرفي الحرب معاً) أم التفسير الواقعي العلمي الذي يربط بين هجوم السابع من أكتوبر ورد الفعل

المتنوع سياسياً وأمنياً وعسكرياً، الذي كان متوقعاً من قبل الأطراف المتضررة من المشاريع الجيواقتصادية الاستعمارية البديلة، التي هددت بالفعل مصالح أغلب دول أوراسيا وبعض دول شمال أفريقيا مثل مصر والجزائر المنخرطة في مشروع طريق الحرير العملاق.

وحيث يبدو الأمر هنا كما لو أنه كان لا بد من عمل نوعي كبير سياسي وعسكري أمني يسدد ضربة قاتلة لتلك الخطط الجيواقتصادية الاستعمارية الأمريكية

الصهيونية التآمرية في المنطقة والتي تستهدف بالدرجة الأولى كما قلنا إضعاف ومحاصرة محور المقاومة إلى جانب قائدي المعسكر الأوراسي الكبير (الصين وروسيا).

هكذا إذن نرى أن هجوم المقاومة النوعي الكبير في السابع من أكتوبر قد جاء في وقت كان يحتفي فيه الغرب الأطلسي والكيان والدول الرجعية الحليفة بتسديد ضربة جيوسياسية موجعة لكل المشاريع الجيوسياسية الاقتصادية العملاقة والمتوسطة المدعومة من قبل المعسكر الشرقي، وعلى رأسها مشروع "الحزام والطريق" الصيني، هذه

الضربة الجيوسياسية المتمثلة بمشروع الممر الهندي المزمع أن يكون مساره بحرياً من شواطئ مهاراشترا الهندية إلى الفجيرة في الإمارات ثم برياً عبر السعودية والأردن إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة ومدينتها الساحلية حيفا ثم بحرياً مرة أخرى عبر المتوسط إلى أوروبا، بالإضافة إلى مشروع "قناة بن جوريون" الذي يراد له أن يربط ما بين "إيلات" على خليج العقبة وكل من أشدود وعسقلان على البحر الأبيض المتوسط، فهو بنظر الكثير من المراقبين والمحللين يعد المشروع الأكثر خطورة

على المصالح القومية العربية والمصرية تحديدا، وذلك بما يشكله من تهديد مباشر على مشروع قناة السويس ومعها كل الخطوط التجارية البرية الموازية والرديفة لها في مصر، وهو المشروع والحلم الصهيوني القديم الجديد، الذي له ربما ارتباط فعلي مباشر بهذا الإصرار الصهيوني العجيب على إعادة احتلال قطاع غزة، وتصفية سلطة المقاومة فيها واستغلال حدث هجوم السابع من أكتوبر (الذي كما قلنا جاء استباقياً ورداً تاريخياً على كل مؤامرات العدو بأنواعها، وللخروج من حالة الحصار والإفقار والتجويع التي يعيشها الشعب الفلسطيني في غزة لأكثر من 13 عاماً)؛ لكن العدو الآن يسعى إلى توظيف نتائج

الحدث في مسار تسارعي عكسي، مسار آخر يخدم هذا المشروع الصهيوإمبريالي التصفوي، وبدعم أمريكي عربي مخجل وفاضح.

وقد جرى إعادة إحياء هذا المشروع مؤخراً، والترتيب لتوفير كل التمويلات والدعم له أمريكياً وأوروبياً وحتى عربياً!

في السياق ذاته، نرى ترتيبات تسليم جزيرتي تيران وصنافير إلى السعودية وتأمين مضيق تيران عند مدخل

خليج العقبة. ولعل الحكومة المصرية تتنبه مؤخراً لخطأ تسليم تيران وصنافير، إذا ما تجاهلنا فكرة التواطؤ العربي المصري في هذا الملف.

هي -إذن- لعنة الجغرافيا السياسية تطل مع بروز الأطماع الاستعمارية الغربية الإمبريالية الصهيونية المتجددة على الدوام، في ظل نظام عالمي متوحش، يؤمن بالربح على حساب حقوق الإنسان وحقوق الشعوب، نظام لا يكترث بتدفق أنهار من الدماء البريئة طالما ستتدفق معها أنهار من السلع الثمينة التي تدر ذهباً وفضة!!

هذا النظام الإمبريالي العالمي الفاسد والظالم القائم على فلسفة السوق المتوحشة ودافع الربح يتناقض فعلياً مع كل المساعي الرامية إلى الانتصار لحقوق الإنسان وحقوق الشعوب المضطهدة المستعمرة والمفقرة، نظام المستثمرين الجشعين الذي يولد الحروب ويستثمر الصراعات بمختلف أنواعها ويوظفها في تعزيز مصالحه وتنمية ثرواتهم، الربح هو الإله المعبود، وتحقيقه هو الهدف الأسمى.

نظام وصفته المناضلة الفيلسوفة روزا لوكسمبورج

بمقولتها الشهيرة: "البشرية أمام خيارين: إما الاشتراكية، وإما البربرية".

حصاد الولايات المتحدة الأمريكية

بالتالي، أنفقت الولايات المتحدة نحو 4 تريليونات دولار على مشروع لم يحقق سوى فشل ذريع بإنفاق أقل من 25 مليار دولار في المنطقة.

حيث أنّ مخطّطات الولايات المتحدة الأمريكية بخلق حالة من عدم الاستقرار المتواصل في منطقة الشرق الأوسط وتوجيه كل المعطيات لصالح الكيان الصهيوني، لم تكن سوى مخطّط فاشل انقلب ضدّها بخسائر كبيرة لها ولإسرائيل ولكل العملاء الذين راهنوا عليها.

وما يمكن التعبير به عن مخطط الشرق الأوسط الأميركي الجديد سوى أنّه في حالة موت دماغي، وبيّنت التغيرات الكبيرة في منطقة الشرق الأوسط أنه لا لرجوعه في الواجهة، وهذه حقيقة قد أدركتها البلدان الصديقة والحليفة للولايات المتحدة في المنطقة.

واشنطن بعد حرب غزة، وعلى الرغم من الدعم

اللامتناهي وغير المشروط لإسرائيل، عملت في آن واحد على خطوط ثلاثة متوازية: الأول، وعي خطورة حرب غزة وبعدها الإقليمي بما يتجاوز غزة وفلسطين و«حماس» ويطال الأمن الإقليمي وميزان القوة في المنطقة. فحشدت قوة عسكرية تكفي لردع إيران وغيرها ومنع توسع الحرب والإمساك بزمام أمن المنطقة وأمن دولها الحليفة. وترجمتها بضربتين للحوثيين في اليمن رداً على هجمات تنفذها الجماعة على سفن في البحر الأحمر.

ثانياً، مارست شبه وصاية سياسية على إسرائيل. لم تترك واشنطن حكومة نتنياهو على عواهنها منذ بداية الحرب دون زيارة مسؤول أميركي لتل أبيب، من الرئيس نفسه إلى 5 زيارات لوزير الخارجية وكذلك لمستشار الأمن القومي ووزير الدفاع وغيرهم من سياسيين أو عسكريين، وجاء ذلك بمثابة إدارة سياسية لمرحلة الحرب من دون دور فاعل في القرار العسكري.

ثالثاً، أطلقت إطاراً واضحاً للحل السياسي الشامل المبني على «حل الدولتين» بالتنسيق والتشاور المستمرين مع الشركاء العرب في الخليج ومصر

والأردن، مع الإصرار على رؤيتها لليوم التالي: أرض القطاع فلسطينية، لا تهجير ولا تغيير حدود ولا اقتطاع، ومناطق أمنية.

إذا قُدر لهذه السياسة أن تستمر مع هذه الإدارة أو مع غيرها تكون واشنطن طوت الرغبة بالانسحاب من المنطقة، لا بل ثبتت من دورها

ووجودها في الإقليم بما يعزز الأمل بالعودة إلى الشراكات الاستراتيجية مع الحلفاء وتثبيت السلام والاستقرار. أما في المقلب الإيراني، فنتائج 7 أكتوبر متعددة وحمّالة أوجه. في السياسة، نجحت سردية طهران بعدما أعادت الوهج للوجه الممانع للنزاع العربي - الإسرائيلي، وعطّلت ولو إلى حين توسيع التقارب العربي - الإسرائيلي والتريث في حالات التطبيع.

إيران تعد محقة بأنها هزت هيبة إسرائيل، وعزّزت موقع حلفائها، وقوضت السلطة الوطنية الفلسطينية، وأوقفت هجمة السلام، وأمنت استمرار حال المراوحة والاضطراب في أكثر من دولة، ما يسمح لها بمواصلة سياساتها التدخلية المزعزعة للاستقرار، ويعطيها معظم الأوراق التي تحتاجها للجلوس على طاولة المفاوضات

حين يحين وقتها، وتظهر هي وحلفاؤها بأنهم المدافعون عن الحق الفلسطيني، والقادرون على إلحاق الضرر بأميركا والهزيمة بإسرائيل، وهي قناعة باتت راسخة عند هذا المحور. نجحت طهران في دور المايسترو الخفي لممارسات حلفائها بحرب الإسناد لـ«حماس».

كرست حرب غزة قسمة المنطقة إلى شطرين: المشرق الواقع تحت الهيمنة الإيرانية، ودول الخليج ومصر والأردن كمحور اعتدال وسلام، في حين نجحت إيران بالقضاء على أربع دول عربية بالكامل. الحديث عن لبنان الدولة بات يدور حول «حزب الله» الذي أخذ دور الدولة. أما اليمن فجرى اختصاره بالحوثيين وممارسات القرصنة. أما العراق فخطفت ميليشيات «الحشد الشعبي» لا سيما الحليفة لإيران أدوار الحكومة.

أما الجغرافيا السورية فقد أضحت مساحة سائبة ومنتهكة. بعد حرب غزة يبدو أن روسيا انكفأت مكتفية بما لها في سوريا من موقع، ومنشغلة في حربها في أوكرانيا. ولعل موقفها المتباين مع إسرائيل حسّن من صورتها في أوساط عربية ودولية وعوّض عما لحق بها في أوكرانيا. أما علاقات موسكو بإسرائيل فيبدو أنها لم تتأثر نتيجة للمساحات المشتركة مع اليمين الأوروبي المتشدد والقريب من موسكو. أما الصين فلم تخرج عن سياستها الخارجية المتوازنة وتنتظر في الخلف نهاية الحرب مستفيدة من تعثر الطريق الهندي بعد الحرب. مهما كانت المتغيرات تبقى المخارج السليمة والسلمية بيد القادة العرب ليستعيدوا مبادرة السلام من المزايدين والشعوبيين ودعاة الحرب المفتوحة.

كلمة اخيرة في أمل يتحقق

إنَّ زوال "إسرائيل" من الوجود حقيقة قرآنيّة ثابتة، ووعدٌ نبويٌّ صادق ، لهذا نحن لا نسأل هل ستزول أم لا؟ لأنها زائلة لا محالة!

وإنما السُّؤال هو متى؟!

وليس من مذهبي القعود عن العمل وانتظار المعجزات، بل إني أؤمنُ أن المعجزات إنما تأتي بعد أن يستنفدَ المؤمنُ أقصى ما يستطيعُ من العمل! حين يرمي الباطل بكلِّ قوته فيبدو على بعد خُطوة من الظَّفرِ، ويصمدُ الحقُّ حتى آخر ذرَّة فيه الصمود، فيبدو أنَّه قاب قوسين

أو أدنى من الهزيمة، تأتي المعجزة..!

القرآن الكريم يُعلَّمنا حقيقة ثابتة وهي أنَّ صراع النفوذِ يختلفُ عن صراع العقيدة!

في صراع النفوذ يذرُ اللهُ النَّاسَ لما بين أيديهم من الأسباب وموازين القوى، فمن ملكَ أقواها.. غلبَ!

أمّا في صراع العقيدة، فلا يلزمُ أبداً أن تتكافأ القوى، ولا أن تتقابل موازين الأسباب!

كل الطغاة الذين أخذهم الله أخذ عزيز مقتدرٍ إنما أخذهم وهم في قوّة جبروتهم!

حين أهلكَ اللهُ فرعون لم يُهلكه بتغيير موازين القوى، وإنما أهلكه وهو يقول: أنا ربكم الأعلى! أخذه وهو في أوج قوّته، على رأسِ جيشه المدجج!

وحين أهلكَ اللهُ النمرود لم يُهلكه في لحظة ضعفٍ، وإنما أهلكه وهو في قمّة غطرسته، يُنادي في النَّاس: أنا أُحيي وأميتُ!

وحين أهلكَ اللهُ عاداً، لم يهلكها بتغيير الأسباب، وانقلاب الموازين، وإنما أهلكهم وهم يقولون: من أشدُّ

منّا قوَّة!

وحين أهلكَ اللهُ ثمود، فإنما أهلكهم وهم ما زالوا يجوبون الصَّخر بالواد!

وحين شتَّتَ اللهُ شمل الأحزاب يوم الخندق، كانت الأرض قد ضاقتْ على المومنين بما رحبت، وبلغت القلوب الحناجر!

وحين بدأتِ الحربُ على غزَّة كنتُ أعتقدُ أنها جولة من جولات الحرب، وستنتهي كما انتهتْ كلّ الجولات التي قبلها، أما الآن فشيءٌ ما في داخلي يقول إنها الجولة الأخيرة بإذن الله تعالى ..!

وإنها لن تبقى على الشكل الذي هي عليه الآن، ستأتي ريح الأحزاب بإذن الله، ورياح اللهِ لها ألف شكلٍ وهيئة، وما يعلمُ جنود ربّك إلا هو!

وحتى إن انتهتْ كما انتهتْ الجولات السّابقة، فستكون قد بدأت من حيث انتهتْ!

ولكن الشيء المؤكد أنَّ هذه الحربُ خرجتْ منذ زمنٍ من أيدينا وأيديهم، فأصبحت يدُ اللهِ هي التي تُسيِّرها!

لستُ ضدَّ العقلانيّة، وحساب الأسباب، والنظر إلى الواقع!

ولكن العقلانيّة المادية ترفضُ كلَّ هذا الصمود، فكلُّ ما يحدثُ هو ضدُّ العقل أساساً!

والأسباب لا تُنتج كلّ هذا الثبات!

والواقع يقول إن دولاً عظمى كانت لتنهار تحت كل هذا القصف والعدوان.. فكيف يصمد قطاعٌ هو أصغر مساحةً من كلِّ عواصمنا؟!

والأدهى من ذلك أنه بجغرافيته المسطحة بلا جبال ولا وديانٍ ولا غابات، هو منطقة ساقطة عسكرياً عند أول هجوم من هذه الترسانة المهولة التي تملك البرّ والبحر والجو!

وبالنظر إلى أنَّ حروب إسرائيل السابقة مع جيوشنا كانت تنتهي بساعات، فالحديث عن الواقعيَّة يبدو إيماناً مادياً غثيثاً!

لا يوجد محتلٌ بقيَ على احتلاله، هذه حقيقة ثابتة لا يستطيع أحد تكذيبها، بغض النظر عن عقيدة أصحاب الأرض! كل احتلالٍ زالَ.. هكذا يخبرنا التاريخ، وكل الغزاة رحلوا نهاية المطاف..

وهذا الاحتلال الصهيوني زائل طال الوقت أم قَصُرَ، وعسى أن يكون قريباً..!

مراجع البحث

/https://hadaracenter.com/author/shaimaa

شيماء بهاء الدين20 مايو، 2024

 الرئيسية ارشيف المجلة العدد 341 في دائرة الضوء

المشروع الشيعي.. كيف تحولت الخرافة إلى واقع؟!

د. عبدالعزيز التركي

https://aawsat.com/home/writer/SAM%20MANSI

سام منسى

 /https://ikhwansyria.com/author/m-yosef

 د. محمد بسام يوسف

/https://siyasatarabiya.dohainstitute.org/ar

?issue066/Documents/Siyassat66-2024-Mady.pdf

كأنَّها الجولة الأخيرة!

أدهم شرقاوي